« مغبوط هو العطاء »

تأليف: جيمس ل. ماي

كانت الكنيسة الأولى مجموعة رائعة. لقد قاموا بما يجد معظم الناس اليوم صعوبة كبيرة في القيام به — شيء عظيم جداً ورد ذكره مرتين في سفر أعمال الرسل.

> وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج (أعمال ٢: ٤٤ و٤٥).

> إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل أحد كما يكون له احتياج. ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ وهو لاوي قبرسي الجنس إذا كان له حقل باعه وأتي بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل (أعمال ٤: ٣٤-٣٧).

تلك لم تكن عطايا سخية لحالات نادرة بين مسيحيي القرن الأول. عندما انتشرت الكنيسة خارج اليهودية، تأسست في أنطاكية سورية حوالي ثلاثة مئة ميلاً (٤٨٠ كيلومتراً) إلى الشمال. سافر نبي اسمه أغابوس من أورشليم إلى أنطاكية وأعلن أن مجاعة عظيمة كانت عتيدة. حدثت مجاعة عالمية خلال حُكم كلوديوس قيصر (أعمال ١١: ٢٧ و٢٨). تأثرت أنطاكية {من جراء هذه المجاعة} كما تأثرت اليهودية أيضاً . ولكن المسيحيين في أنطاكية قرروا « حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً ما خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية. ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول » (أعمال ١١: ٢٩ و٣٠).

وبعد سنوات شجع بولس المسيحيين الأُممين في مكدونية وأخائية وغلاطية على التبرع لسد حاجة المسيحيين اليهود في فلسطين. طلب منهم أن يضعوا جانباً تبرعاتهم في أول يوم من الأسبوع حتى لا يحصل الجمع عندما يذهب إليهم (١ كورنثوس ١٦: ١ و٢).

كان العطاء عبادة

هل يوجد هناك أي دليل في الكتاب المقدس على اعتبار التبرعات الاسبوعية كتعبير عن عبادة الله؟ أوصى بولس المسيحيين في كورنثوس أن يجمعوا التبرعات في أول يوم من الأسبوع، في الوقت الذي يجتمعون فيه للعبادة. هل اقترح بولس وقتاً مناسباً لجمع التبرعات؟ هل كانت هذه التبرعات تُعتبر جزءاً من العبادة، أم لم تكن لها صلة بعبادة الله؟

عند الإجابة على ذلك السؤال كتب أندي. ريتجي ما يلي:

> لا شك أن الكثيرين منا سمعوا تعليم قيل لنا فيه أن هناك « أركان » عبادة من بينها أن « يضع كل واحد جانباً ما تيسر له ». لهذا نصل إلى إستنتاج أن العطاء مشمول في هذه القائمة، ولكن لم نفكر كثيراً في تفسيره غير انه لا بد للكنيسة أن تملك مالاً لكي تقدر أن تقوم بعملها، ولهذا فانه من مسؤوليتنا أن نساعد ...

واستمر بطرح السؤال كما يلي:

> ولكن ألا يجب أن نجعل أفكارنا حادة ونوجهها إلى الله لكي يكون العطاء بالنسبة إلينا عمل العبادة والتوقير لله؟

للإجابة على هذا السؤال حسب الكتاب المقدس لنضع في الاعتبار جذور المسيحية الناشئة من العبرية، الخلفية التي أتى منها بولس. العطاء لله هو الاستجابة الثانية

المذكورة في الكتاب المقدس (تكوين ٤: ٣-٥). كانت الاستجابة الأولى هي الطاعة (تكوين ٢: ١٦ و١٧). أوصى الله آدم وحواء أن لا يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر. لا توجد توصية من الله بخصوص الذبائح في سفر التكوين، ولكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين قال: «بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين ...» (عبرانيين ١١: ٤). قبل أن يتم عمل أي شيء بالإيمان، لا بد أن يكون الله قد أوصى به لأن «الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رومية ١٠: ١٧).

شعب الله دائما شعب معطاء، وأراد الله دائماً ان يكون ذلك العطاء استجابة لوصاياه. أعطى إبرهيم ملكي صادق ملك شاليم وكاهن الله عُشراً من غنائم الحرب (تكوين ١٤؛ لاحظ الآيات من ١٨ إلى ٢٠ بصفة خاصة). وعد يعقوب أن يعطي الله عُشر جميع بركاته (تكوين ٢٨: ٢٠-٢٢).

كانت الذبائح والتقدمات المختلفة جزء من عبادة الله تحت الناموس، وكان يطالب بمذبحين. كان المذبح الذي في خارج خيمة الاجتماع (وفيما بعد خارج الهيكل) هو لقبول المحرقات. والمذبح الذي بالداخل كان لتقديم البخور لله. كانت مهمة المذبح هي تقديم عطايا لله. الآصحاحات السبعة الأولى من سفر اللاويين تعطي إرشادات لتقديم عطايا وذبائح مختلفة بالطريقة الصحيحة لله.

عندما اعاد عزرا ونحميا العبادة الحقيقية إلى يهوذا، من بين بنود تجديد العهد كانت اتفاقيات للتبرع بثلث الشاقل في كل سنة لخدمات بيت الله. كان على الشعب الاستمرار بتقدمات الحنطة والمحرقات وذبيحة الخطيئة؛ وكان عليهم أن يأتوا بابكارهم مع أبكار ثمار الأرض وكل شجرة إلى بيت الله سنوياً. واتفقوا أيضاً أن يأتوا بالعُشر إلى اللاويين، والذين بدورهم وافقوا أن يضعوا عُشْر الأعشار في مخازن بيت الله حتى لا يُهمل بيت الله (نحميا ١٠: ٣٢-٣٩).

السفر الأخير من أسفار العهد القديم يعاتب يهوذا بسبب اخفاقهم في المحافظة على وعودهم بالعطاء الله. فسأل الله بواسطة النبي ملاخي قائلاً: «أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتموني! فقلتم: بم سلبناك؟ في العشور والتقدمة». أخبر النبي شعب يهوذا بان الأمة كلها كانت ملعونة لأنها سلبت الله. ثم أرشدهم قائلاً: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام» (ملاخي ٣: ٨-١٠).

علم يسوع تلاميذه أن يكنزوا لهم كنوزاً في السماء (متى ٦: ١٩-٢١). علمهم الهدف الحقيقي من العطاء وطريقة العطاء ايضاً(متى ٦: ١-٤). لم يعطوا لينالوا اعجاب الناس بهم، بل لمساعدة الفقراء. قيل لهم أن يعطوا في الخفاء لأن الله يباركهم، مما يشير إلى ان عطاياهم كان يجب أن ترضي الله وليس الناس. عندما كان يسوع يشاهد الناس يلقون المال في خزينة الهيكل، رأى بعض الناس يضعون كميات كبيرة من المال. وجاءت أرملة فقيرة ووضعت فلسين. لفت يسوع انتباه تلاميذه إذ قال لهم: «الحق الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين القوا في الخزانة. لأن الجميع من فضلهم ألقوا. أما هذه فمن إعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها» (مرقس ١٢: ٤٣ و٤٤).

من هذه الخلفية تعلم المسيحيون الأوائل أن يعطوا لله. وهذه أيضاً الخلفية التي منها تعلم بولس عن العطاء. وقد اقتبس لنا عبارة قالها يسوع لم توجد في سجلات الأناجيل الأربعة: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أعمال ٢٠: ٣٥). الغرض من الحديث عن العطاء في الكنيسة ليس لتحسين الميزانية، بل لتحسين العبادة.

العطاء حسب التعليم الإلهي

تعريف بولس للعطاء يشير إلى انه يعتبره معبراً عن العبادة. لقد أعطانا الإرشاد الكامل عن العطاء المسيحي في كل العهد الجديد. لقد تحدثنا عن توصيته للمسيحيين في كورنثوس لجمع تبرعات للفقراء في اليهودية؛ قال لهم: «ليضع كل منكم جانباً ما تيسر له مما يكسبه؛ وليحتفظ به» (١ كورنثوس ١٦: ١ و٢). ربما طلب منهم أن يجمعوا التبرعات في ذلك اليوم

لأن ذلك هو اليوم الذي فيه يجتمعون كلهم معاً؛ ولكن حالما يكون لدينا فهم بولس عن العطاء، ندرك انه قصد به أن يكون استجابة للعبادة لله.

أراد بولس أن يجمع التبرعات من الكنائس اليونانية في مكدونية وأخائية وغلاطية ويرسلها إلى كنائس اليهودية في فلسطين لسببين: أحدهما هو لمساعدة المسيحيين الفقراء في اليهودية؛ والسبب الآخر هو لتحسين العلاقات بين المسيحيين اليهود والأمم. كلا السببين هما لعمل الله واستجابة للتسبيح له. الارشادات التي أعطاها للكنيسة في الأصحاحين الثامن والتاسع من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس تبين مفهوم بولس عن العطاء.

وصف بولس أولاً ما لا يجب أن يكون العطاء المسيحي. لم يقصد به أن يخفف محنة الآخرين بينما يزيد محنة الذين يعطون (٨: ١٣). لا يجب أن يعطي المسيحي بتذمر (٩: ٧). أي ان المعطي المسيحي لا يعطي ومن ثم يتمنى لو لم يكن قد أعطى. أخيراً، لا يجب على المسيحي ان يعطي إجباريا (٩: ٧). هذا يعني انه لا يجب أن نعطي فقط لأن آخرون يعطون أيضاً أو لأن آخرون يعتقدون انه ينبغي لنا أن نعطي؛ بل يجب أن يكون عطاءنا استجابة سخية من القلب لله.

قائمة بولس عما يجب أن يكون العطاء هي أطول بكثير:

١. يجب تميز العطاء المسيحي بـ« فرح عميق » حتى عندما يكون الذين يعطون « في اختبار ضيقة شديدة » (٢ كورنثوس ٨: ١ و٢). الفرح هو واحد من تعابير عبادة الله الذي درسناه سابقاً.

٢. يجب تمييز العطاء المسيحي بالسخاء، حتى وإن كان الذين يعطون في فقر شديد (٨: ١ و٢). هذا النوع من السخاء تحضها فقط استجابة لله من أجل بركاته الفائقة. التعبير عن السخاء نحو الله هو عبادة.

٣. لا يتوقع من المسيحيين أن يعطوا فوق طاقتهم، ولكن بعض المسيحيون في مقدونيا أعطوا فوق الطاقة استجابة لهذه الخدمة لله (٨: ٣ و١٢). مثل هذا العطاء هو عبادة تضحية.

٤. إلتمس المسيحيون في مكدونية فرصة للمشاركة في دعم مسيحيين آخرين (٨: ٤). كان هذا عبادة نابعة من المحبة والتقدير لعمل الله بين مسيحيين آخرين.

٥. كرس أولئك المسيحيون الكرماء قلوبهم لله أولاً (٨: ٥). والمضمون هنا هو أن الإنسان لا يحتمل أن يعطي كثيراً حتى يعطي نفسه أولاً لله. العطية التي ليست من القلب تكون خالية وفارغة. تقديم أنفسنا لله يعتبر عبادة لله في الرسالة إلى أهل رومية ١٢: ١ و٢.

٦. العطاء لله هو عمل مغبوط(٨: ٦) يجب أن نزداد فيه (٨: ٧).

٧. العطاء يثبت إخلاص محبتنا لله ولبعضنا البعض (٨: ٨). لا يجب اعطاء عطية لمجرد أن الكنيسة تحتاج إليها. يجب أن يكون العطاء تعبير عن محبتنا لله. هكذا العبادة!

٨. يتبع العطاء مثال يسوع الذي « افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره » (٨: ٩). عندما ندرك كم نحن أغنياء روحياً، كوارثين لكل ما يملكه الآب، العطاء من هذا الغنى الكثير يمثل عبادة.

٩. العطاء يأتي بالمساواة بين المسيحيين (٨: ١٣ و١٤). تدل المساواة على الرفقة والمشاركة والزمالة والوحدة – وهذه كلها صفات العبادة الجماعية.

١٠. يشير العطاء إلى الاستعداد للمشاركة في عمل الله (٨: ١١ و١٢؛ ٩: ٢).

١١. العطاء هو مسألة القلب. يريد الله الذين يعطون بسرور، الذين يريدون أن يفعلوا كما ينوون (٩: ٧). العطاء الذي يكون بسرور ومن قلب تغمره محبة لله هو عبادة.

١٢. المعطي ينال بركة من الله الذي يعطي كل شيء والذي يعطي البذار للزرع (٩: ١٠ و١١). في كل العبادة يكون العابد مبارك من قبل المعبود. لهذا السبب « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أعمال ٢٠: ٣٥).

١٣. العطاء يؤدي إلى الشكر لله، لكل من المعطي والآخذ (٩: ١١–١٥).

الخلاصة

العطاء حسب خطة الله يفي بكثير من

معايير العبادة الحقيقية بحيث يصعب الفصل بين الاثنين. قال جيمي جيقيدن: «عند التدريس عن العطاء، ركز أكثر على حقيقة أنه عبادة وبانه يشمل على طاعة متواضعة لله عوضاً عن النقود المطلوبة للوفاء بالميزانية».

لقد أصبحت الكثير من الكنائس حساسة جداً بما يختص بالتعليم عن العطاء. الدراسات المختصة بنمو الكنيسة قد كشفت أن انتقاد الذين لا يذهبون إلى الكنيسة ضد الكنائس هو طلباتهم للمال. لقد استجابت بعض الكنائس بالاعلان انه غير متوقع من الزوار أن يتبرعوا لخدمات الكنيسة. والبعض لا تجمع التبرعات خلال خدمة العبادة، بل تشجع الأعضاء أن يرسلوا تبرعاتهم بالبريد أو بوسائل أخرى. لا تسمح البعض بالتبشير أو التعليم عن العطاء في جماعاتها. عندما طلب مني إلقاء الموعظة في كنيسة أخرى في أكثر من مناسبة واحدة قيل لي أن لا أوعظ عن موضوع العطاء. قبل وقت قريب طلب مني أن أوعظ في كنيسة ما في صباح الأحد. وفيما بعد تلقيت مكالمة هاتفية بان أعطي درساً في مدرسة الأحد أيضاً، فوافقتُ على ذلك، وسألت ما الذي كانوا يدرسونه وما إذا كان هناك ما يفضلون أن أدرسه لهم. لم يكن هناك ما يفضلون أن أدرسه. قالوا يمكنني أن أدرس عن أي موضوع ما عدا موضوع العطاء.

كما ذكرنا في الدرس السابق، لا يمكن ان نتوقع من الذين لا يذهبون إلى الكنيسة أن يفهموا أو يقدّروا ما يفعله المسيحيون أثناء العبادة أو لماذا يفعلونه. لا يجب أن نتجاهل شعورهم. ومن ناحية أخرى الاخفاق في الفهم ان العطاء هو استجابة العبادة لله هو الاخفاق في فهم المعنى الكامل للعبادة. لا ينبغي في أي حال من الأحوال أن نسمح للناس الذين لا يذهبون إلى الكنيسة ان يرهبنا بالتخلي عن هذا الجزء من تسبيحنا وشكرنا لله في التجمع العام.

شركة مع الله بواسطة كلمته

ليس هناك أي تعبير عن العبادة يمكن أن يكمل دائرة الشركة بطريقة موضوعية مثل قراءة الكلمة والكرازة بها. هذه هي الوسيلة الاكثر تحسساً والتي اختارها الله لتكون له به شركة معنا. نتحدث إلى الله بالصلاة والترنيم. وبواسطة الكلمة يكلمنا الله. قال جيمي جيقيدن: «العبادة بالصلاة تعبر عن اشتياق قلوبنا لله. و العبادة عن طريق الاستماع إلى كلمته هي عملية قبولنا لرغبات الله».

الكرازة هي اعلان الخبر السار من الله. اعترف أندي ريتجي بانه أجرى تعديلاً على مر السنين في أهمية الكرازة في {وقت} العبادة. جاء هذا نتيجة لدراسة فكرة الكرازة كال«كريغما κηρνγμα» وهي كلمة يونانية تعني «دعوة، كرازة، بشارة، مناداة ببشارة» (أنظر متى ١٢: ٤١؛ ١ كورنثوس ١: ٢١؛ ٢ تيموثاوس ٤: ١٧). وكتب أيضاً: «عندما تعلن الكرازة هذه الرسالة للناس باعادة الطمأنة وباقتناع وبطريقة مشجعة يكون بالترنيم، والعشاء الرباني وجميع أركان العبادة الأخرى بروح البشارة بالخبر».

التبشير مثله مثل التنبوء، أي الحديث نيابة عن شخص آخر. «بالمفهوم العام، أي مبشر حقيقي هو نبي» (مقتبس من إبيد). التبشير هو طريقة اختارها الله ليتكلم بها إلى شعبه المجتمعين للعبادة. إذاً ينبغي للمبشرين الادراك بان دورهم هو أن يكلموا كلام الله فقط، ويجذبوا انتباه العُبَّاد إليه. التبشير لأي غرض آخر يكون انتاج غير مرغوب فيه في عملية العبادة. عندما يكون المبشر خادم الله حقاً ورسالته هي رسالة الله، يستخدم الله صوت المبشر للمناداة بكلمته. عندما تستمع الجماعة إلى رسالة الله المعلنة وتستجيب بتناولها، يكرمون الله. هذه هي العبادة! بالاستماع إلى الكلمة وقبولها يكون العابد في شركة مع الله.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧